الأهرام

المصدر : اليامـــــــــــــــــــة

التاريخ : ١١ جمادى الاخر ١٣٨٧ هـ

"القرآن الكريم" في المانيا

يمكن التمييز في تاريـــخ العلاقات الطويلة بين بلاد الغرب والاسلام بين ثلاث مراحـل رئيسية . تتميز كل منهـا بطبيعتها وخصائصها الواضحة واول هذه المراحل هي فتـــرة مئات السنين من الحـــروب التي بلغت نقاط قمتها وتبلورت بوضوح في الحروب الصليبية ثم حروب مطاردة العرب من اسبانيا ، واخيرا حرب الدفاع عن اوروبا ضد الغزو والاحتلال التركي . والمرحلة الثانية هي مرحلة محاولة فهم الاســـلام بهدوء وعمق في عصر التنوير في القـــرن الثامن عشر ، والاعتماد على القرآن الكريـم كمصدر رئيسي للتعرف على الاسلام الحقيقي . ثم المرحلة الثالثة وهي تلك التي جـاءت في اعقاب الحرب العالميـــة الثانية ، وبدت جلية فـــي العشرين عاما الماضية عندمـا اتجهت المسيحية مع الاســـلام كدينين سماويين ، وكونا معا جبهة واحدة للوقوف امـــام تيارات الالحـــاد وموجـــات المادية .

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

لم يكن من الممكن بالطبع ان يوجد تفهم ما للقرآن فى المرحلة الاولى من هذه العلاقات اى مرحلة الحروب . فقد كانت بلاد الغرب ، التى لم تكن تعرف من العربية سوى اقل القليل ـ ترى آنذاك ان القرآن ليس من كلام الله ، بل عمل من اعمال الشيطان . وظلت هذه النظرة الخاطئة سائدة حتى القرن السابع عشر وكان البابا الكسندر السابع قد اصدر امرا بتحريم طبع القرآن ومنع ترجمته ايضا . غير أن القسيس الالمانى هينكلمان ـ من ابناء مدينة هامبورج ـ تجرأ على نشر النص العربى للقرآن فى عام ١٦٩٤ غير انه لم يملك الجرأة الكافية للمجازفة بنقله الى اللغة الالمانية .

والواقع ان رجلا آخر وهو الراهب دومينيكوس كان قد سبقه من قبل الى ترجمة القرآن الى اللغة اللاتينية ، وذلك فيما بين عام ١٦٥٠ و ١٦٦٥ ، مع اضافة الكثير من التفاسير اليه . وكان دومينيكوس قد حاول بجد ان يتعلم اللغة العربية خلال رحلاته الكثيرة التى قام بها الى الشرق . وقد اعانه تعلم اللغة العربية على تقديم ترجمة حرفية وامينة بوجه عام للقرآن ولا جدال فى أن ترجمة القرآن عمل شاق محفوف بالصعاب نظرا لصعوبة اللغة العربية من جهة وغموض المعانى فى الكثير من الكلمات العربية من جهة اخرى ، ذلك الغموض الذى يجعل بعض الكلمات تحتمل اكثر من معنى ، والتى لا يفهمها فهما صحيحا وواضحا سوى اصحاب النبى الذين عاصروه وسمعوا منه القرآن رطبا عند نزوله . وبديهى ان ترجمة الراهب دومينيكوس جاءت بعيدة عن الكمال . فان التفاسير التى اعتمد عليها الفهم نصوص القرآن كانت تعكس فهم الشراح وكتاب التفاسير المتاخرين ، اكثر مما تعكس المعنى الحقيقى الاصيل للقرآن كما فهمه محمد واصحابه فى عهد النزول . ولم يكن مسموحا بالطبع ان يطبع عمل دومينيكوس او ينشر فى ذلك الوقت ، فقد كان تحريم البابا الكسندر ما زال ساريا .

وبعد مضى اكثر من مائتى عام على قيام الراهب بهذه الترجمة ، عثر اخيرا فى عام ١٨٨٣ على المخطوطة اليدوية التى كتبها دومينيكوس غير ان افضل ترجمة لاتينية للقرآن فى القرن السابع عشر كانت تلك التى قدمها الايطالى ماراتشى ، والتى قام بنشرها فى المانيا عام ١٧٢١ كريستيان رايكه . وقد قدم راينكه لهذه

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

الطبعة بمقدمة اشار فيها الى تاريخ القرآن والى مضمون العقيدة الاسلامية ومواضيع الاختلاف بينها وبين المسيحية

تحدثنا حتى الان عن ترجمات القرآن التى قام بها الالمان الى اللغة اللاتينية ، لغة العلماء والمثقفين فى ذلك الوقت اما الترجمة الاولى للقرآن الى اللغة الالمانية فقد قام بها القسيس الالمانى سالومون شفايجر . غير ان شفايجر لم يترجم القرآن من العربية مباشرة ، فلم يكن يعرفها ، ولذلك فقد اعتمد على ترجمة ايطالية غير دقيقة ، كانت هى ايضا منقولة عن ترجمة لاتينية ناقصة ترجع الى القرن الثانى عشر . وهكذا فان ترجمة شفايجر كانت فى الواقع عملا لا قيمة له .

وثمة ترجمة المانية اخرى شبيهة بهذه ايضا نقلت عن ترجمة فرنسية غير دقيقة للقرآن ، وقد قام بها بعد شفايجر ب ٧٢ عاما الطبيب الالمانى يوهان لانجه . ولم تكن فى الواقع افضل من ترجمة شفايجر فى شىء .

واخيرا تمكن المانيان فى عام ١٧٧٠ من نقل القرآن لاول مرة الى اللغة الالمانية من اللغة العربية مباشرة . اما اولهما فهو استاذ فرانكفورت البروفسور

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

واحد فريدريش ميجرلين ، الذى استخدم جوته ترجمته بتشرة ، وكان الثانى الفسيلس فريدريش ايبرهارد بوزين ، وكانت ترجمته افضل بكثير من ترجمة ميجرلين ، اذ انه حاول ان يحافظ على الروعة الشعرية وان يساير جمال الاسلوب القرآنى فى الترجمة وبهاتين الترجمتين بدأت حقبة جديدة حقا فى تقدير الاسلام تغيرت فيها نظرة الغرب الى القرآن ونبى الاسلام . وبذلك اختفت الخلافات العلمية وشاخنات القرون الوسطى ، وحلت محلها النظرة العلمية الموضوعية للقرآن والدين الاسلامى .

وفى عام ١٨٢٨ قدم جينتر فال ترجمة المانية ثالثة للقرآن فاقت ترجمة بوزين بامد بعيد وقدم لها بمقدمة تفصيلية وافية عن العرب وحياة النبى محمد .

وعلى اى الاحوال فقدتقادم العهد على ترجمتى بوزين وفال ولم تعد لهما اكثر من القيمة التاريخية . كما فقدت ترجمة اوامان التى نشرت منذ اكثر من مائة عام قيمتها الان ايضا .

وقد وصفها الاستاذ نولدكه — اكبر علماء العربية الالمان — بانها عمل ساذج اشبه باعمال تلاميذ المدارس .

اما اليوم فان الالمان يقرأون الترجمة الواضحة التى قام بها هيننج . وهى ترجمة دقيقة يسهل فهمها وتكفى تماما لغير المتخصصين . اما احدث الترجمات الالمانية للقرآن وهى ترجمة جماعة الاحمدية ، والترجمة الحديثة التى قام بها البروفسور باريت الاستاذ بجامعة تيبنجن ، فلا يمكن الحكم عليها الان ، اذ انها ما زالت ترجمات جديدة لم تمض على ظهورها سوى عدة سنوات .

وتوجد الى جانب هذه الترجمات الكاملة عدة ترجمات اخرى لاجزاء مختارة من القرآن منها الاجزاء التى نقلها الشاعر الالمانى والمستشرق الكبير فريدريش روكيرت ، والتى تعد

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

اقوى حزب سياسي في البلاد — ان يعين « مستشارا » وفقا لقواعد النظام البرلماني . وانتهى حكمه باستسلام المانيا للقوات العسكرية المتحالفة استسلاما غير مشروط وتقسيم المانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ .

وتم تقسيم البلاد الى اربعة مناطق احتلال ، هي : المنطقة البريطانية ، والمنطقة الفرنسية والمنطقة الامريكية في الغرب ، والمنطقة السوفيتية في الشرق . كما قسمت برلين — العاصمة الى اربع قطاعات .

وقد فصلت الولايات الشرقية من الرايخ ، وطرد منها معظم سكانها الالمان ، ووضعت تحت الادارة البولندية (وجزء بسيط تحت الادارة السوفيتية) وذلك « لغاية ابرام معاهدة صلح » مع المانيا .

وفي عام ١٩٤٩ قسمت برلين الى قطاعات غربية مجتمعة تكون « برلين الغربية » والى قطاع شرقي هو « برلين الشرقية » .

وفي العام نفسه اعلن ممثلو الولايات الالمانية الغربية (اي مناطق الاحتلال الغربية الثلاث) تاسيس جمهورية المانيا الاتحادية التي اصبحت دولة ذات سيادة في عام ١٩٥٥ .

وبينما نشأت جمهورية المانيا الاتحادية (المانيا الغربية) في عام ١٩٤٩ ، قامت السلطات السوفيتية في منطقة احتلالها في المانيا الوسطى (وهي المنطقة التي جرى العرف على تسميتها بالمانيا الشرقية بينما هي في الواقع المانيا الوسطى لان المانيا الشرقية من الناحية الجغرافية هي المنطقة التي ادمجت في الادارة البولندية « لغاية ابرام معاهدة صلح ») — نقول قامت السلطات الشيوعية بقلب الاوضاع السياسية والاجتماعية في منطقة احتلالها ، توطئة لادماجها في كتلة الدول الشرقية الواقعة تحت نفوذ موسكو ، وحول السوفييت تلك المنطقة الى ما اسموه « الجمهورية الالمانية الديمقراطية » .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

وخلاصه القول ان الخط الفاصل بين البلاد التي تدين بمبادىء الحرية الفردية والقومية وبين البلاد الشيوعية ، اصبح يشطر المانيا في وسطها منذ عام ١٩٤٥ على طول ١٧٠٠ كيلو متر .

وعبر الجيش العربي جبل طارق ، وتساقطت مدن الاندلس بين يديه ، حتى دان له هذا البلد الغربي من اقصاه الى اقصاه ، فاجتاز حدوده الى فرنسا ، وتقدمت راياته المظفرة الى الشمال حيث وجدت عوامل خاصة تنبهت انسحابه من بواتييه ، ولكنه ظل في جنوبي فرنسا والاندلس

ثم دارت عجلة التاريخ ، وزحفت جشود الصليبيين الى الشرق (١٠٩٧) بفلاحيهم ومغامريهم وملوكهم وامرائهم ، فاحتلوا بيت المقدس والطريق المؤدية اليه ، وبدا ذلك الصراع الدموي مع العالم الشرقي الذي لم ينته الا سنة (١٢٩١) عندما سقطت عكا آخر معاقل الصليبيين في الشرق ، وقضى الله امرا كان مفعولا .

الا ان نتائج هذا الصراع كانت جد هامة ، فقد انتهت سيطرة العرب المسلمين على

بقلم
* طه الوالي *

امدا غير قصير .

وفي خلال ذلك ، كان اسطول العرب يشد ازر جيوشهم ، فنزلت قواتهم في رودوس ، وانتزعت شواطىء البروفانس ثم احتلت صقلية عام (٧٥٣) والباليار (٨٩٨) ، وروع العالم المسيحي عندما تغلبت اساطيل العرب المسلمين على أسطول بيزنطة والمالفي ، وهاجمت قواتهم (تارانتو) في الساحل الايطالي بالذات سنة (٨٣٨) ، ثم حطمت الاسطول البندقي والبيزنطي واحتلت باري سنة (٨٤٠) ، وما كاد القرن التاسع ينتصف ، حتى وقف العرب على ابواب روما يقرعونها بعنف ويهددون كنيسة القديس بطرس بالذات .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

البخار ، وانتقلت شبكات من الحضارة الشرقية الى الغرب لتزداد اشتعالا ، حتى تغمر نورها العالم الحديث بثماره فيما بعد ، وتمكن الغرب من التحكم في مصائر الشرقيين ، أساتذته القدماء .

وقد تبودلت السلع والبضائع بين الشرق والغرب في تلك الفترة وما بعدها على نطاق واسع ، ولعل المدن الايطالية سبقت غيرها الى ذلك رغم احتجاجات بيزنطة وتهديدات البابا ، فنشطت عمليات تبادل السلع ونقلها ، وانشأ بعض تجارها في كليكيا سوقا واسعة كان التجار يؤمونها من الشام وآسيا الصغرى ، فلما قضى عليها الناصر بن قلاوون سنة — ١٣٤٧ — ، لجأ الاوروبيون إلى الاسواق المتنقلة حيث كانوا يحلون في احدى النقاط على السواحل السورية ببضائعهم ومتاجرهم ، فينمون فيها عمليات المبادلة وصفقات البيع والشراء ، ثم يغادرونها الى نقمة اخرى حيث يقومون بتجارتهم على النسق الاول ، في حرز من السلطات الاسلامية التي كانت تقاوم تغلغلهم بشكل علني .

ثم ادركت السلطات الاسلامية نفسها مقدار الخير الذي تعود به عليهم تجارة هؤلاء الاوربيين ، فوضعوا على بضائعهم الرسوم والمكوس ، وشجعوا رواجها ورروجيها في ثغور الشام ، حتى اصبحت لهم مصدر ثروة طالما اعتمدوا عليها في معاشهم ومشاريعهم الحيوية .

وراجت في اوربا الشائعات عن غنى الشرق وثروة الشرق ، وطفق الاوربيون ينظرون بعين الحسد الى ذلك الترف والرخاء الذين تنعم بهما البندقية ، وكان من الملاحة قد ارتقى ، وامكانيات الغربيين قد عظمت ، فابتدأت المحاولات لايجاد طريق مباشر بين اوربا والهند ، متبع الثروات ووصل فاسكو دوغاما بالفعل الى كلكوتا سنة — ١٤٩٨ — بمعونة الملاح العربي (ابن ماجد) الغرب وطوحت باقتصاديات ثم عاد يروي القصة التي هزت الشرق والبندقية على السواء .

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية